مقدمة الكتاب

سبحانك اللَّهمَ خير مُعَلِّم علَّمْت بالقَلَم القرونَ الأولى

علمت آدم الأسماء كُلَّها، فالعلم الأول من اللَّه، والمُعَلِّم الأول علّمه اللَّه سبحانه وتعالى !

ومن عجب أن الطريقة التى علّم اللَّه بها آدم عليه السلام هى نفس الطريقة التى تتبعها البشرية إلى يومنا هذا.. فنحن حين نبدأ مع الطفل نعلمه الأسماء أولًا، والمُسَمَّيات : نقول له: هذا مِصْباح، وهذا مِنْشار، وهذه شمس.

وبعد أن يتعلم الأسماء ، ويتعرف على المسميات ، تأتى مرحلة نعلمه فيها الأفعال، ثم نربط بين الأسماء والأفعال بالحروف ، وتأتى مرحلة التدريب على استخدام الجمل والعبارات والأساليب !

ولكن آفتنا كامنة فى لساننا ؛ فالكثيرون لا يكادون يحسنون النطق !

والكثيرون لا يكلفون أنفسهم عناء البحث !!

ويتجلى ذلك واضحًا فى نطق الأسماء ، وتصريف الأفعال ، فلا اهتمام ولا رعاية لضبط الكلمات كما نطق بها السابقون ، وكما ضبطها الضابطون.

لقد تسربت عدوى اللامبالاة فى حياتنا العامة إلى لغتنا، فبدا اللحنُ فيها واضحًا، حتى اتسع الخَرقُ على الراقع !

ولقد تتبعتُ الأسماءَ التى تدور على ألسنة الخاصة والعامة ، وجمعت ما وقع فيه اللحن، وما يحار الكثيرون فى ضبطه، واستعنت فى ذلك بما أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة من معاجم ، وما اتخذه من قرارات .

وبدأت بما بدأ اللَّه به سبحانه وتعالى فأفردت هذا البحث للأسماء ، على أمل أن أُفْرِدَ « **للأفعال وتصريفها** » بحثًا آخر؛ لعلى أسهم فى إصلاح المنطق. ويقينى أن كلَّنا راعٍ ومسئول عن رعيته، فعلى الراعى أن يكون قدوة فيما ينطق به، واللغة أمانة، ويا ويلَ من

ضيعها ! وإنصاف اللغة يقتضى أن يهتم كل منا فى موقعه بصواب القول .

والمدرسون والطلاب ، والمهندسون والحرفيون ، والمديرون والعاملون ، والإذاعيون والمحاضرون ، والخطباء والمحدّثون، كلهم مسئولون أمام اللّه ، وأمام الوطن عن لغتهم .. لغة القرآن ! **فهل إلى نهضة من سبيل ؟!**

هل يأتى اليوم الذى نخصص فيه عامًا للغة العربية ، لا نقول فيه إلّا صوابًا ، يَرُدُّ الألسنة المعوجة إلى صواب القول ، ويُخجل أولئك الذين يَهْرِفون بما لا يعرفون ؟!

لا نهضة لنا إلّا إذَا نهضنا بلغتنا .. وعندئذ يُصبح للكلمة مضمون ، فنعنى ما نقول ، ونقول ما نعنى ! إن شاعرنا العربى يقول :

وينشأ ناشئُ الفِتيان منا على ما كان عوّده أبوه

فهل تحمّل الآباء أمانة النطق ، وقالوا صوابًا ؟!

ورحم اللّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : « **أرى الرجل فيعجبنى ، فإذا قيل لا عملَ له سقط من عيني** ».

وليأذن لى أن أستعير كلماته فيما أنا بصدده فأقول: « **أرى الرجل فيعجبنى فإذَا أساء النطق سقط من عيني !** » إن إهدار اللغة إهدار لنا ولشخصيتنا العربية فى الوقت الذى بدأت فيه أنظار العالم تتجه إلينا وإلى أدبنا !

وإنه ليس هناك عمل بغير ضوابط ، ولا جمال ولا كمال ما لم تحترم تلك الضوابط ! وإذا كانت « **الكلمة** » **أمانة فإن النطق بها هو الأمانة بعينها !**

وما أجملَ تلك الكلمة التى قالها المأمون العباسيّ للنَّضْر بن شُمَيْل تعليقًا على خطأ فى ضبط كلمة : « **قَبَّحَ اللّهُ مَنْ لا أدب له** » !! فهل إلى إصلاح اللغة من سبيل ؟! ومتى يأتى اليوم الذى نصون فيه الأمانة ؛ بعد أن أصبحت لغتنا مُسْتَهدفة، وبعد اندثار أكثر من ثلاثمائة لغة؟! أَلَا هل بَلَّغتُ ؟! اللهمَّ فاشهد !

أرجو أن يوفق اللّهُ الرُّعاة فى كل المواقع إلى حمل راية الإصلاح .

وما توفيقى إلّا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد إبراهيم سليم

بين يدى الكتاب

جاء فى « **دُرَّةِ الغَوّاص** » ذلك الحوار الذى دار بين « **النضر بن شُميل المازني** » و« **الخليفة المأمون** » حول ضبط سين كلمة « **سداد** » أهى بالفتح أم بالكسر ؟ وأن النضر ابن شُميل استفاد من وراء ضبط هذا الحرف ثمانين ألف درهم !

يقول الثعالبى : كلّ شيءٍ سددت به فهو « **سِداد** » (بكسر السين). وذلك مثل: سِداد القارورة، وسِداد الثغر، وسِدَاد الخَلّة.

وقد جاء فى أخبار النحويين أن النضر بن شميل استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم؛ حيث دَخل على المأمون فأَجْرَيَا الحديث، فأجرى المأمون ذكر النساء فقال :

حدثنا هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللَّه : « **إِذَا تَزَوَّجَ الرجلُ الزوجةَ لدينها وجمالِها كان فيها سَدادٌ من عَوَز** » .

فأورده بفتح السين « **سَداد** » !

قال : فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هشيم ؛ حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب قال: قال رسول اللَّه ﷺ : « **إِذَا تزوج الرجلُ المرأةَ لدينها ، وجمالها كان فيها سِداد من عَوَز** » .

قال : وكان المأمون مُتَّكئًا ؛ فاستوى جالسًا ؛ وقال:

يا نَضر ! كيف قلت : « **سِداد** » ؟!

قلت : لأن السَّداد هنا لَحْنٌ !

قال : أَوَ تُلَحِّنُنِى؟!

قلت : إنما لَحَن « **هشيم** » – وكان لَحّانة – فتبع أمير المؤمنين لفظَهُ .

قال : فما الفرق بينهما ؟

قلت : السَّداد – بالفتح – القصد فى الدين والسبيل .

وبالكسر : البُلْغَةُ[1] ، وكل ما سددت به شيئًا فهو سِداد وسِدادة.

قال : أوَ تعرف العَربُ ذلك ؟

قلت : نعم . هذا العَرجيّ يقول:

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثَغرِ !

فقال المأمون : « **قَبَّحَ اللَّهُ منْ لا أدب له !!** ».

وأطرق مَلِيًّا ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم ، وكتب إلى الفضل بذلك؛ فلما عرف الفضل، زاده ثلاثين ألف درهم؛ فأخذ ثمانين ألف درهم مقابل حرف استفيد منه.

[ا . هـ درة الغواص]

فإلى أى مدى نحن حريصون على الإفادة والاستفادة ؟!

هذا هو المأمون مثال للحاكم ، وذاك هو النضر بن شميل مثال للعالم فمن لنا بهما لتحيا اللغة العربية؟!

إنها مهمة خطيرة ، لا ينهض بها إلَّا من أوتى نصيبًا من الدراسة الواعية بالقديم، والمعرفة النافذة بالجديد، وعرف للغة وظيفتها الاجتماعية الخطيرة فى حياة الأمة.

وإذا كان لزامًا على الدولة أن تبسط للناس أسباب المعرفة، وأن تفتح فى وجوههم باب التعليم فإن لزامًا عليها أن توفر لهم وسائله وأداته.

ووسيلة التعليم وأداته الأولى هى اللغة ، فإنها وعاء الأفكار ومضمارها الذى تجول فيه، وهى أيضًا سبيل التواصل الفكرى والشعورى بها يتحقق انتقال المعرفة والخبرة بين الأفراد.

من أجل هذا وأمثاله من الأسباب الخطيرة يلزم أن تكون العناية باللغة سابقة مقدمة، وأن يكون خطر التفريط بها ماثلًا لكل مَعْنِيٍّ بالتربية والتعليم والثقافة والمعرفة بل لكل مشتغل بقضايا الشعب أيًّا كان تخصصه ووجهة عمله.

ينطبق هذا على الألفاظ المفردة، كما ينطبق على التراكيب والتعابير.

والأمل فى صحوة كبرى تعيد الحياة إلى لغتنا - كبير .

---

(١) ما يُتَبَلَّغُ به ويسد الجوع والرمق .